اعادة ترتيب الاوضاع، بما يتناسب ومصالحها. ولعل أبرز ما يؤكد ذلك هو انه على الرغم من الضغوط الدولية، ومساعي جمهورية مصر العربية السلمية، وتجاوب م.ت.ف. معها، فان الحكومة الاسرائيلية ما زالت تواصل رفضها اشراك المنظمة في أية مفاوضات سلام خاصة بالشرق الاوسط، سواء أديرت هذه المفاوضات في سياق متعدد الطرف، أو في سياق ثنائي. ولا يزال هذا الرفض هو الجامع المشترك فيما بين القوى الاساسية في اسرائيل.

ان الرفض الاسرائيلي القاطع للتفاوض مع م.ت.ف. لم يزل يشكل الاساس في عرقلة عملية السلام، واستمرار حالة التوتر قائمة. ومن خلال تجربة العامين الماضيين، فانه بالامكان القول ان موقف الولايات المتحدة الاميركية يشكّل داعماً أساسياً لموقف التعنّت الاسرائيلي. فلقد أكدت الاحداث الاخيرة عدم قدرة، وجدية، الولايات المتحدة الاميركية على الضغط على اسرائيل، ودفعها الى الاشتراك في مفاوضات مباشرة مع م.ت.ف. وكذلك عدم رغبة الولايات المتحدة الاميركية في الاعتراف بـ م.ت.ف. ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، انتظاراً منها لـ «انجازات» اسرائيلية محتملة في المناطق المحتلة، من شأنها اخراج ممثلين محليين عن السكان، يقبلون بالتفاوض حول حكم ذاتي.

بناء على ما تقدم، فان ثمّة أسئلة متداخلة تبرز للعيان حول مستقبل السلام في المنطقة، خاصة في ما يتعلق بهجوم السلام الفلسطيني وآفاقه.

وقبل البدء في طرح تلك الاسئلة، فانه لا بدّ لنا من التفريق، أساساً، ما بين «المبادرة» و«الهجوم». ان مبادرة السلام الفلسطينية تشكّل، في جوهرها، استراتيجية متكاملة الابعاد، ولا يمكن ادخالها في نطاق العمل التكتيكي ـ المرحلي لـ م.ت.ف. وان «هجوم السلام الفلسطيني» ما هو الاّ مرحلة من مراحله، ووجهاً من وجوهه. ولذلك، فانه لا يمكننا النظر الى نتائج هذا الهجوم بشكل معزول عن استراتيجية السلام الفلسطينية، ومعطيات الواقعين، الدولي والمحلي. وبالتالي، فان تناول المبادرة السلمية من أساسها، ومحاولة تشريحها، لا يدخلان في نطاق هذه القراءة. الاّ ان مراجعة عناصر ومقوّمات هجوم السلام الفلسطيني، وما تمّ استخدامه منها، وما تستلزمه المرحلة في ضوء المتغيّرات والمعطيات الدولية، والمحلية، من شأنه تدعيم المبادرة السلمية ذاتها، والتي أضحت بُعداً أساسياً من أبعاد السياسة الشرق أوسطية. وعليه فان الخطوة الحاسمة في الانتقال بالصراع من مدار الى آخر، تتطلب رسم تخوم جديدة لعملية هجوم السلام الفلسطيني، وادخال عناصر ومقوّمات جديدة فيه. وفي هذا السياق لا بد من السؤال، أولاً: هل يمكننا، وفقاً لامكاناتنا الراهنة، وتحالفاتنا القائمة، من تطوير الموقف الاميركي، كموقف أساس ورئيس في عملية التسوية في المنطقة؟ فاذا كانت الاجابة عن هذا السؤال سلبية، فما هو المطلوب، اذاً، فلسطينياً؟ وهل ان الاوضاع الراهنة، فلسطينياً، والمتمثلة بمراوحة عملية هجوم السلام وتعليق الولايات المتحدة الاميركية حوارها مع م.ت.ف. ونجاح الليكود في الوصول الى سدة الحكم، واطلاق المزيد من التهديدات الاسرائيلية، قابلة للاستمرار؟

ان الدلائل باتت تشير الى ان الظروف، كافة، تنذر باحتمالات خطرة، من شأنها استخدام العنف من اجل اعادة ترتيب الاوضاع في المنطقة، بما يتناسب والرؤية الاميركية ـ الاسرائيلية، ارتكازاً على الغياب السوفياتي، من جهة، واعادة دول أوروبا الشرقية الاعتبار الدبلوماسي الى اسرائيل، من جهة أخرى.

وسط هذه الصورة القاتمة، نسبياً، فان أوضح ما يتبدّى في الأفق الفلسطيني هو التفكير، جدياً، بقراءة هجوم السلام، على نحو يتلاءم مع المبادرة السلمية، والحفاظ على مقومات الوجود